

# نقولا ناصيف: عن «جيوش لبنان» وأجهزته الأمنية



رواية ناصيف عن انقسام الجيش مبنية على فرضية مفلوطة وهي ان الجيش كان موحدًا إلى ان اتى احمد الخطيب كي يقسمه (مروان بو حيدر)

الفلستينية في بيروت الشرقية قبل الحرب (ويا ليت كان هناك المزيد من الحواجز في بيروت الشرقية لما كان هناك من اختراق إسرائيلي عدو ومن اغتصابات اعتمدت على عملاء للعدو) يمثل إخلالاً بالسيادة الغالية، ولا تمثل سلسلة الاعتداءات والاحتجاجات الإسرائيلية المتكررة على لبنان إخلالاً بتلك السيادة الغالية، أي أنك تطع بخلاصة أن السيادة اللبنانية لا يمكن أن يخل بها إلا الفلستينيون فقط، وأن خرق السيادة من الغرب ومن إسرائيل لا يجب أن تقلق بالاً. (4) يغيب عن سردية ناصيف الدور الإسرائيلي الخطير في الحرب اللبنانية، ولعل هذا يعكس عدم اهتمام أجهزة الجيش والأمن في لبنان بالخطر الإسرائيلي لانشغالهم بملاحقة ومحاربة اليسار (وبالنسبة عن أجهزة أمن غربية غالباً). هو يتبع السردية الرسمية لجهاز الدولة التي كانت تقلقه حركات اليسار والمقاومة وحتى شهود يهوه (وهنا من المستغرب أن ناصيف روى عن الملاحقة الرسمية لشهود يهوه من قبل جهاز الأمن العام «سز الدولة: فصول من تاريخ الأمن العام، 1945-1977»، ص. 317. من دون أن يشير إلى جنون هذا الهوس الذي شغل الكنيسة لعقود طويلة، ولا يزال). لكن الخطر الإسرائيلي لم يكن يشغل الدولة ولا يُقلق راحتها أبداً. على العكس، في المرتين اللتين ألقى فيها المكتب الثاني القبض على عميلين لإسرائيل، عاد وسلم العميلين إلى دولة الاحتلال مع أن واحدة منهما كانت مواطنة لبنانية (وهذه سابقة بين الدول) (راجع «المكتب الثاني: حاكم في الظل»، ص. 167). لا، ناصيف يأخذ بمقولة أن اتفاق الهدنة بين لبنان ودولة العدو «جنب» لبنان احتلال أراضي (مع أن أراضي لبنان تعرضت لاحتلالات إسرائيلية متعاقبة) كان العدو احترام تلك الاتفاقية التي خالفها منذ توقيعها (راجع ناصيف «المكتب الثاني»، ص. 268).

لكن الكتاب الجديد لناصر (أي «جيوش لبنان») أضعف من الكتابين الأولين في السلسلة، إذ أنه سمح لعواطفه بأن تلمس ما يتجمع من دلائل وقرائن تتناقض مع رواية الكتاب عن الحرب. اعتمد ناصيف في القسم الأول من الكتاب على مذكرات غير

تتبنى كتب ناصيف الثلاثة موقف القوى الانعزالية حول نفوذ المقاومة الفلسطينية في «المنطقة الغربية»

منشورة لأحمد الخطيب. وقد اتفق أنني أنا أيضاً قرأت تلك المذكرات غير المنشورة لأحمد الخطيب (وأحس عائلته على نشرها لما تحتويه من معلومات هامة عن تاريخ الحرب الأهلية، وقد كتبها الخطيب بتوصيف دقيق وتفصيل نقدي لا يرحم). لكن ناصيف ظلم أحمد الخطيب كثيراً على غير عادته مع من يحظى بمقابلته (قابل ناصيف أحمد الخطيب وسمحت له عائلته بتصحيح مذكراته). كيف نشر ناصيف حركة أحمد الخطيب؟ هكذا: (1) قال إنه كان كسولاً وفاشلاً في دراسته العسكرية. (نقولا ناصيف، «جيوش لبنان: انقسامات وولاءات»، ص. 24). (2) اتهمه بالطائفية وجعل من الطائفية دافعاً وحيداً لحركته مع أن الخطيب فضح دور حركة «أمل» وكما جنى في التحريض الطائفي والمذهبي في داخل حركته. (3) اتهمه ناصيف بالعمالة لإسرائيل — وهذه معصية أدبية في الكتاب. كيف فعل ذلك ناصيف؟ أدرج في حاشية في الكتاب نصاً من تقرير لـ «الشعبة الثانية» في زمن جول بستانني ينهم فيه أحمد الخطيب (وفقاً لـ «مصادر عدة وثيقة ومؤكدة») أن الخطيب كان يزور دولة الاحتلال في عام 1976. (ص. 66). لماذا لم يسأل ناصيف الخطيب كي يكذب هذه الكذبة؟ لا نحنناج إلى

أسعد ابو خليك \*

إن كتاب نقولا ناصيف، «جيوش لبنان: انقسامات وولاءات»، الذي صدر قبل أيام في بيروت، هو واحد في ثلاثية أصدرها المؤلف عن تاريخ «المكتب الثاني» وعن «الأمن العام» من قبل. ولا شك أن ناصيف هو عالم خبير في تاريخ لبنان المعاصر، وخصوصاً في تاريخ أجهزة الدولة الأمنية والعسكرية. والزميل ناصيف باحث مجتهد وكاتب موسوعي ووزير الإنتاج، فهو، بالإضافة إلى عمله المواظب في الصحافة اللبنانية (في «النهار» ثم في «الأخبار» بالإضافة إلى إطلالاته التلفزيونية)، يصدر الكتب البحثية عن السياسة اللبنانية المعاصرة. وأذكر، عن نزاهته المهنية، أن الراحل جوزيف سماحة قال لي عنه إنه واحد من اثنين من الصحفيين الذين كانوا يرفضون المنح المالية التي كان يوزعها نهاد المشنوق (وهاني حمود في ما بعد) على الصحفيين في طائرة الحريري الخاصة، كما أنه لم يكن يضيف على مرتبه في «النهار» منحة شهرية من سياسيين — وكان ذلك مألوفاً على ما يبدو. وكتب ناصيف ثرية بالمعلومات ومكتوبة بأسلوب مشوق وبعبارات منتقاة بعناية فائقة: ووصفه للسياسيين أو العسكريين أو المدنيين يكاد يجعل الشخصيات تلك تفر من صفحات الكتاب لتحيا أمامك وأنت تقرأ. والكتاب يستطيع أن يجمع كماً كبيراً من المعلومات من دون أن يفقد السيطرة على ما يقع بين يديه، فيحسن استخدام ما جمعه في روايته.

لكن هناك ما يشوب ثلاثية نقولا ناصيف. يأخذ على بوب وودورد (الصحافي الذي بولغ في تقديره في فضح «ووترغيت» في «واشنطن بوست») في كتبه الكثيرة عن الحكم الأميركي في إدارات مختلفة أنه يكون أسير من يقبل أن يتحدث إليه، وأن من يتحدث إليه يضمن أن يُضفي وودورد على دوره تغطية بطولية مميزة. ولهذا، فإن الساسة (من مستوى الرؤساء وما دون) يقبلون على مضمض أن يتحدثوا إلى وودورد لعلمهم أن رفضهم لإجراء مقابلة معه يضمن تغطية شديدة السلبية لأدوارهم. كما أن وودورد يصف أدوار محدثيه في كتبه من دون أن يقارن وأن يدقق وأن يمحس فيما يقولون ويروون. إن السردية تصبح ملك المتحدث. لا تتصف كتب ناصيف بالثأرية التي تتسم بها كتب وودورد — ولا بالقرب من السلطة وأصحاب القرار، لكن كتبه هي أيضاً أسيرة لسردية محدثيه. وبالرغم من أن كتب ناصيف تعتمد على عمل مضمض في البحث والتدقيق والتوصيف والجمع، فإنها تعاني من نقص في المعايير الأكاديمية للبحث (والتي يمكن بوجودها أن تجعل من بعض كتب ناصيف أطروحات جامعية). أي أن كتب ناصيف تتضمن كماً هائلاً من المعلومات لكنها تعاني من نقصان من حيث: (1) يفتح ناصيف المجال أمام محدثيه كي يسيطروا على السردية. أي أن كلاً من جوني عبده أو غابي لحدود (في كتاب «المكتب الثاني: حاكم الظل») أو أنطوان الدحداح (في كتاب «سز الدولة») يملك السيطرة الكاملة على السردية في الحوار. لا يعارض ناصيف، ولا يحاول أن يسأل أو أن يعرض وجهة نظر خصوم الرجل المحاور. وعليه، فإن المتحدث يضمن أن تسود رؤيته في الحديث من دون اعتراض أو تدقيق من قبل ناصيف. (2) لا يسمح ناصيف لمحدثه بأن يسيطر على السردية في موضوع الكتاب، بل هو يمتنع عن محاولة مقارنة السردية تلك بسردية خصوم المتحدث. وعليه، عندما تقرأ جدول المقابلات في الكتب الثلاثة يصدك نقض نافر: لم يقابل نقولا ناصيف مسؤولاً فلسطينياً واحداً كي يأخذ وجهة النظر الأخرى في الكتب المذكورة. لم يقابل ناصيف في كتاب «المكتب الثاني: حاكم الظل» مسؤولاً فلسطينياً واحداً أو مسؤولاً في الحركة الوطنية فيما يتعرض الكتاب بالتفصيل لقمع المقاومة الفلسطينية من قبل السلطة تحت ذرائع شتى. هذا سمح لجوني عبده مثلاً بأن يقول ويخلق ويفكر بلا هوادة. (3) لا يضع ناصيف الرواية في سياق سياسي ينزع إلى التجرد أو الانصاف بين وجهات نظر متنازعة. على العكس، هو يضع الروايات في سياق السردية والمصطلحات الانعزالية إياها. وعليه، فإن حاجزاً للمقاومة

الخبار al-akhbar

رئيس التحرير: المحرر المسؤول: ابراهيم الامين

نائب رئيس التحرير: بيار ابو صعب

محرر التحرير: هيفق قانصوه

مجلس التحرير: محمد زبيب حسنة عليف ايلي حنا اهلل الاندري شريك كرم

صادرة عن شركة اخبار بيروت

المكاتب: بيروت - فردان - شام دونات - سنتر كونيورد - الطابق السادس

تلفاكس: 01759500 01759597

ص. ب. 5963/113

الإعلانات

الوكيل الصحفي: ads@al-akhbar.com 01759500

التوزيع

شركة الاواك: 01\_15/666314 - 03 / 828381

الموقع الإلكتروني: www.al-akhbar.com

صفحات التواصل

Facebook: /AlakhbarNews

Twitter: @AlakhbarNews

Instagram: /alakhbarnews-paper

لكن كان على ناصيف مراجعة شهادة فؤاد لحدود (الشمعوني) ضد سياسات الجيش وضد طائفته في كتاب «مأساة جيش لبنان» (لم يرد الكتاب في مراجع كتاب «جيوش لبنان»). كانت نسبة قادة الوحدات المقاتلة في الجيش قبل الحرب 85% للمسيحيين و15% فقط للمسلمين (ص. 84 من كتاب لحدود). ولا يذكر ناصيف كيف أن فؤاد بطرس عندما أصبح وزيراً للدفاع في عهد سركيس زار مقر وزارة الدفاع واجتمع بقيادة الجيش واكتشف أن المسلمين كانوا ممنوعين من مقر وزارة الدفاع في سنوات حرب السنين. (هو لا يذكر طائفية قيادة الجيش في سنوات الحرب، كان انحصارها إلى ميليشيات اليمين كان من منظور علماني محض — ص. 114 من «جيوش لبنان»).

ناصر لا يبرز موقفه من السياسات التي أدت إلى انهيار لبنان. وكان ترك لبنان عرضة للاحتلال والعدوان الإسرائيلي سياسة مقصودة في دولة ما قبل الحرب: كان رئيس لبنان يرفض (بامر من أميركا والعدو الإسرائيلي) مساعدات مالية وعسكرية عربية سخية عرضت عليه: في عام 1974، ذهب تقي الدين الصلح إلى دولة الإمارات في طلب مساعدات مالية إلى لبنان للتسلح وحمايته من عدوان إسرائيل، فما كان من الرئيس اللبناني إلا رفض ما عرض عليه من دول عربية في قمة الرباط من ذلك العام. أو فضيحة إسكندر غانم: الذي تلقى تحديراً (قائد منطقة بيروت) في يوم الاعتداء نفسه على مطار بيروت في عام 1968 عندما قال له قائد الجيش، إميل بستانني: «انتهب إلى مطار بيروت في خلدته» (ص. 233 من كتاب لحدود). غانم هذا أصبح فيما بعد «بطل» التقصير والتخاذل في عملية فردان في عام 1973.

وهناك أيضاً أمثال إبراهيم طنوس الذي تمرد عليه وعلى أمثاله أحمد الخطيب ورفاقه. في شهادة ناصيف في مقالة في «الأخبار» في 27 كانون الأول 2012 بعنوان «غياب طنوس: قصة جسر الكرامة مع رمسفيد»، يصف ناصيف طنوس بـ «المقاتل». لكن ناصيف ينسى أنه لم يقاتل يوماً العدو الإسرائيلي (أحمد الخطيب أخذ المبادرة في قتال العدو في شباط من عام 1972، وأصيب بجرح حاولت الدولة اللبنانية أن تستغلها لتفزيونياً فرفض الخطيب بل قاتل مسلمين ومسيحيين في صفوف الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية. هذا هو القتال الذي كان يتشرف به جنود وضباط الجيش قبل أن يثور عليه الخطيب ورفاقه. طبعاً، طنوس تمرد فيها بعد في قصف عشوائي ضد الضاحية الجنوبية والجبل في عهد

تمحيص كي تكذب هذا التقرير لـ «الشعبة الثانية». ثم كيف يمكن أن يقبل ناصيف صدقية جول بستانني فيما يتعلق بإسرائيل، وهو الذي رعى سوية مع إسرائيل رعاية وخلق وتسليح ميليشيا «التنظيم»؟ ليس هناك من دليل موثق (ليس بعد) على علاقة جول بستانني مع دولة العدو الإسرائيلي لكن هناك أدلة في الوثائق الأميركية على تحالف وثيق بين قوى الأمن والجيش مع العدو الإسرائيلي وعلى تواصل مستمر بينهما وتنسيق في ضرب المقاومة. جول بستانني آخر مصدر يمكن أن يُرَكَن إليه في اتهام الغير بالعلاقة مع إسرائيل: لقد روى رئيس أركان الجيش الأسبق، رياض تقي الدين، كيف كان عملاء جول بستانني يشعلون نار الحرب الأهلية عندما تخمد (راجع كتاب نبيل المقدم، «وجوه وأسرار من الحرب اللبنانية»، ص. 260). ثم، الغرب في الأمر أن كتب ناصيف الثلاثة لا تتضمن حساسية في الموضوع الإسرائيلي، لا بل أنه تجاهل في كتاب «المكتب الثاني» العلاقة بين جوني عبده وبين العدو الإسرائيلي. لا بل نشر التبريرات الباطلة التي ساقها عبده لتسوية العلاقة (الذبلية طبعاً) بين بشير الجميل والعدو الإسرائيلي. إن إدراج هذا الاتهام الباطل ضد أحمد الخطيب (وحشره في حاشية) أضعف من صدقية رواية ناصيف الذي قرّر أن يهمل شهادة الخطيب (الصادقة) في مذكراته غير المنشورة.

لقد تمرد أحمد الخطيب على جيش طائفي وفئوي وصارخ في انحصاره الطائفي والفئوي. لقد كان ضباط الجيش يصفقون لطائرات العدو وهي تقصف لبنان، وكان كبار الضباط يحاضرون بعد 1973 (عندما هُزم الجيش اللبناني في مواجهة المقاومة الفلسطينية) حول ضرورة دعم الميليشيات اليمينية الطائفية. ولا يعبر ناصيف أهمية لواقعة أن الخطيب كان يخدم في منطقة البقاع تحت إمرة أنطوان لحد، قائد منطقة البقاع يومها. لا يعلق ناصيف بكلمة عن هذا الرجل، وعن دوره الطائفي المنحاز آنذاك، وعن دوره المستقبلي فيما بعد. لكن من غير المقبول أن يستعمل ناصيف ضد أحمد الخطيب تلك الحجّة (الباطلة) التي استعملها الثلاثي فؤاد بطرس والياس سركيس وجوني عبده ضد سليم الحص: كان الثلاثي يتهم الحص بالطائفية عندما يعترض على طائفيتهم البغيضة والصارخة. وقياساً، يصنّف ناصيف تمرد الخطيب ضد طائفية الجيش اللبناني بأنه هو الطائفية. (طبعاً، لم يكن تمرد الخطيب فقط ضد طائفية الجيش وقيادته آنذاك).